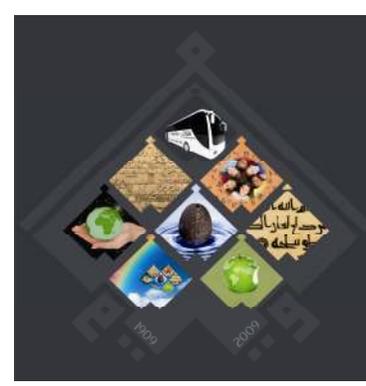


مقامات الأولياء في دار الإسلام: قباب الأنوار ومنابع الحيات



جامعة الخروبة ، مستغانم / الجزائر
ما بين 25 - 31 تموز/يوليو 2009

معرض يضم صوراً فوتوغرافية وخرائط معمارية

العمارة :

في سجل معماري مكون من خمس عشرة لوحة كبيرة، تُبين المهندسة المعمارية سعاد بدران، العلاقة اللطيفة التي تتوطد بين فضاء الزائر الداخلي وفضاء المقام نفسه. و بينت ذلك من خلال الرسم المعماري لخرائط الكثير من المقامات منها مقام الشيخ أحمد العلوي والأمير عبد القادر الجزائر، والشيخ الأكبر ابن عربي.

تقول المهندسة سعاد، إن فن العمارة المتخصص بهذه الأماكن الروحية المتطلعة إلى السماء ممتنع ولا يتكشف بسهولة للرائي وتقول إن عناصر العمارة تتداخل وتتجسم معطية للمكان القدرة على التأثير على مشاعر الزائر : فتصبح المادة الصلبة وكأنها جلد رقيق، أوحى أنها تتحول إلى ذبذبات مضيئة. ينحصر المكان ويتلاشى في لحظات الزمان الحاضر، مما يعطي الفرصة لكل زائر أن يرى نفسه وكأنه مركز دائرة الوجود. فتعبر الهندسة هنا ، عن اتحاد السماء بالأرض .
ويحوّل الضوء الذي يصبح مادة كيميائية السعادة، المادة الكثيفة إلى بلورات منيرة واخرى مظلمة.

التصوير

منذ سنوات عديدة والمصورة كاترين طويبي تقوم بزيارة مقامات أولياء الله الصالحين في مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية وقد حققت وثيقة تصويرية عن الموضوع . واليوم وفي هذا المعرض تقدم لنا مجموعة مختارة تتكون من مئة صورة فوتوغرافية.

فتسمح للزائر بأن يكتشف قبور الصالحين في أرض الإسلام من المغرب إلى الهند مروراً بالجزائر ومصر وبلاد الشام وتركيا وباكستان .

وتشمل هذه الصور مقامات كبار الأولياء الصالحين مثل مولاي عبد السلام بن مشيش، سيدي بو مدين الغوث، الأمير عبد القادر الجزائري، الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، الشيخ أحمد التيجاني، مولانا جلال الدين الرومي. ومن آل بيت النبي مقام سيدنا الحسين في مصر، ومقام السيدة زينب والسيدة نفيسة، وأقطاب الطريقة الشاذلية الثلاثة: الإمام أبو الحسن الشاذلي (ت 1258 م) والشيخ أبو العباس المرسي (ت 1288 م) وابن عطاء الله الاسكندراني (ت 1309 م).

تقول المصورة نجمة بأنها حريصة كل الحرص وتأمل من كل قلبها أن تمدّ من خلال هذا المعرض جسورا تصل الشرق والغرب بعضها ببعض . فتأمل ان يكون العنصر الجمالي لهذه الصور داعية سلام عالمي بين أمم الشرق والغرب . فهذه الأمكنة الروحية تتيح لنا فرصة العودة إلى الله. وبالتالي فالجوهر الروحاني يكون العنصر الجامع لنا جميعاً. تلاحظ المصورة نجمة أنه بينما يكون لكل مقام عطره الخاص به، فإنه تفيض منها جميعاً أعراف المحبة والسلام. وتعتبر عن تجربتها الخاصة، فتقول إن زياراتها المتعددة للمقامات سمحت لها أن تعيش اللحظة الآتية، وأحياناً كانت تحظى بوارد روحاني يأتيها عند مقامات الصالحين. وتقول إنها تتأثر كثيراً عندما ترى تعابير الخشوع والإيمان وهي ترتسم على وجوه الزائرين .

وأخيراً وليس آخراً، فإن السيدة نجمة كاترين طويبي، تؤكد لنا بأن صورها هذه ما هي إلا شهادة على تجربتها الشخصية .

والحمد لله رب العالمين

سيقام هذا المعرض الذي يتناول موضوع مقامات الأولياء لأول مرة ، ضمن الفعاليات الثقافية التي ستقام في جامعة الخروبة بمستغانم في الجزائر، بمناسبة مرور مئة عام على قيام الطريقة العلوية-الدرقاوية-الشاذلية، وذلك ما بين 25 - 31 تموز/يوليو 2009.

يشكل هذا المعرض شهادة على الأماكن الروحية في دار الإسلام. فإنه يأمل أن يقدم أصول علوم كونية، هي في الحقيقة جزء من تراث الإنسانية، ويأمل أن يكون بمثابة تكريم لأولياء الله الصالحين شيوخ علم التصوف . ونحن نأمل إن شاء الله، أن يتحول فيما بعد إلى معرض متنقل يجوب المدن والبلاد.

يقوم هذا المعرض على ثلاثة محاور : كتابية وعمارة وتصوير .

الكتابية :

الدكتورة ليلى خليفة، باحثة متخصصة بفكر ابن عربي، تقول لنا إنه كثيراً ما يُشبه مقام الولي بالنجم في السماء" وتحدثنا عن تأملاتها في الموضوع من خلال نصوص ابن عربي فتقول : "إن هبة الغيبة فوق ضريح الولي تلتقي بهيئة استدارة الفلك في السماء فوق الأرض، وأن هؤلاء الصالحين المحققين بمقامات العبودية والفقر إلى الله تعالى ، كانوا بمثابة الملوك والأسباد في ممالك الغيب والروح".

وتقول، "إن زيارة مقامات الأولياء في العالم الإسلامي، لهو جزء من تراث إنساني عرفته الأديان الأخرى حيث يتم الحديث عن "الحجج للأماكن المقدسة" و"مناسك تقديس القديسين"، ولكن التراث الإسلامي احتفظ بتعبير "الزيارة" أي "زيارة المقامات" شكلاً ومضموناً. وتُشير الدكتورة ليلى إلى أن زيارة مقامات الأولياء لها من الآداب والشروط ما غيرها من الممارسات. ومن أهم هذه الشروط هو إخلاص نية الزائر في التوجه إلى الله تعالى، فلا يبغى غير وجه الله الحق. فالروح نفس الرحمن، أمره ربّاني فكما جاء في القرآن الكريم : *قل الروح من أمر ربي*" (17: 85). أما ما يرجوه الزائر من بركة ومدد من صاحب المقام، فلا يتأتى إلا عند قراءة القرآن ودعاء الله سبحانه وتعالى والصلاة على نبيه عليه أفضل الصلوات .

ويشير ابن عربي (ت560هـ/1240 م)، كما تقول الباحثة، في فتوحاته المكية، إلى علوم أسرار ولطائف الأمكنة، ومنها يكون معرفة ما لها من لطيف أثر في القلوب. ويؤكد على ذلك موفق الدين بن عثمان في كتابه *مرشد الزوار إلى قبور الأبرار*، فيقول : *وينبغي للزائر أن يدعو لنفسه عند قبور الأديباء والصالحين فقد أمرنا بالدعاء عند رقة القلب غالباً* .

وخلاصة الأمر أن إخلاص النية في التوجه لله تعالى عند الزيارة، هي من أهم الشروط التي أكد عليها علماء الصوفية في كل زمان، فنذكر الدكتورة ليلى خليفة قول الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي المتوفى (ت 1934م)، في رسالته المعروفة : *القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف* : *الم تعلم أن النية يُقال لها الإسفير المعنوي" وذلك لأنها تحوّل نتائج الأعمال حالاً. وتشرح الباحثة وتنبه قائلة "وحتى لا تثير زيارة مقامات الصالحين أي سوء فهم، يتضمّن عبادة أو تكريس للمقام نفسه، فقد تغنى أعلام الصوفية في كل زمان بأبيات الشعر العربي :*

أمرٌ على الدّيار ديار سلمى
وما حُبّ الدّيار مضى بقلبي
أقبل ذا الجدارٍ وذا الجدارٍ
ولكن حب من سكن الديار

النص: الدكتورة ليلى خليفة

الرسم المعماري :المهندسة سعاد بدران

التصوير: السيدة نجمة كاترين طويبي